دفنتها بيدى !... (*)

للشاعر التركى عبد الحق حامد بك

أيتها العيون التى أمست ثقوباً ! أيتها العظام الدائرة النخرة ، أنظرى ... أنظرى إلى جلال هذا التابوت الجميل المزهر ... أنظرى ثم ارقدى بسكون حتى البعث ... تحت لحافٍ من التراب فى ظلمة القبر ، وعُدِّى هـذا اليوم قيامةً صغرى !

* * *

الناس والدواب والطيور والأشجار والأحجار ... كلها وشيكة البكاء من فرط الألم ، والسحب القاتمة فى حزنها العميق ، تبكى تارة ، وأخرى تُثْثر النظر الواله إلىّ فى سكون موحش . إنها جميعاً تشاطرنى لواعج الحزن بصمتٍ ناطقٍ مشوب بالذهول ... !

* * *

يا ناشداً العِبْرة ، كفكف العَبْرة ، وانظر فى هذه الحفرة ، تجد ثَمَّ جمال الوجود منظوماً فى قصيدٍ من الحسن ، تجدْه ممثلاً فى صاحبة التابوت ... لقد كانت أجل من السماء الحالية بأملاكها . كانت أحلى من رحيق الأزاهر ورضابها ، كانت أجمل من الطفولة فى براءتها ونضارتها ، ومن الملائكة فى علائها وجلالها . كانت أجل من الحور الكاسية بنور الإلٰه فى جنات النعيم .

* * *

يا لشعرها ! كان أجل من الشمس فى شروقها ، وهى ترسل شعاعها اللألاء من الورود والرياحين .

يا لعيونها ! كانت مرآة مجلوة للخيال الحالم .

يا لنظراتها الوادعة ! كانت ينبوعاً للرحمة يتدفق منه ماء سائغ سلسبيل ...

ولكنها الآن يابسة كأمواجٍ من تَجَد !

وبستان دلالها ؟ لقد كان يموج بحَلال من السحر والفتنة ، ولكنه ذوى وتغشاه سكون رهيب ساخر ! ...

* * *

كان وجهها المزدان بهالة شعرها أجل من البدر يتلمس السفور من فُرَج السحاب ...

والأحزان التى تراءت على وجهها قبل أن تزهق نفسها إلى الموت ، لكالشمس ساعة رؤيتنا لها تحتضر ، فى غروبها وراء أثباج من الموج ...

* * *

كفى ... ... !

أرى القلم يئن من لذع الألم التأثر ، وأحس المداد يبكيها وهو متشح بثوب الحداد ...

مَهْلاً أيها القبر ، علا صنتها بين أحضانك وأطبقت إطباق البحر المظلم على لؤلؤة بين أصدافه ؟

وأنت يا أحجار القبر ويا أتربته ، هل تَرَين الناس عليكِ بُكاة كما بكوْها ؟ ...

ترى لمن كانت آمالٌ منثورة بين القبور ، وآلام جدت على صفحات الرموس ...

حدثنى بربك ياقبر ، هل بكوا عليك بكاءهم عليها حين المات ؟...

ألا خبروني كيف انقلبَ البكاء الواله إلى سكون وصمت ، ثم إلى قبر مهجور ، فأحجار بعثرها البلى وسط القبور ... كم مكثت شريداً أيها القبر ، يتراوح عليك صباح ومساء ، بين هديل للحمام ونعيب للبوم ؟ !

احفظ العهد بإحسان ورفق

ألا فاشهدوا يا سكان القبور ...

ترجمة

محمد أمين محمد العربى

المحامى

(حلوان)

(*) مقتطفات من حديقة الشاعر التركى « عبد الحق حامد بك » من ديوانه « أولو » : أى الميت الذى شطره بالتركية أيضاً المرحوم « نور الدين بك مصطفى » والد المترجم .